

التبيان في تفسير القرآن

(65) لدلالة الكلام عليه. وقيل في معنى " لا تكلم " قولان: احدهما - ان فيه وقتا يمنعون من التكلم إلا بالحق فهو باذنه تعالى. والآخر - انه لا يتكلم بكلام ينفع إلا بإذنه: من شفاعة ووسيلة، بدلالة قولهم " وإنا ربنا ما كنا مشركين. انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (1) ". وقال الجبائي: الاذن الجاؤهم إلى الحسن، لانه لا يقع منهم ذلك اليوم قبيح. وقوله " فمنهم شقي وسعيد " اخبا رمنه تعالى بأنهم ينقسمون قسمين منهم الاشقياء، وهم المستحقون للعقاب، ومنهم السعداء وهم المستحقون للثواب. والشقاء قوة أسباب البلاء، والشقي من شقي بسوء عمله في معاصي الله، والسعيد من سعد بحسن عمله في طاعة الله، وانما وصف الاجل بأنه محدود، لانه متناه منقضى، لان كل محدود قد وجد عدده، لا يكون ذلك الا متناهيًا. فان قيل كيف قال - ههنا - " يوم يأتي لا تكلم نفس إلا باذنه " وقال في موضع آخر " هذا يوم لا ينطقون. ولا يؤذن لهم فيعتذرون " (2) وقال في موضع آخر فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انفس ولا جان " (5) وهل هذا إلا ظاهر التناقض؟! قلنا: لاتناقض في ذلك لان معنى قوله " وقفوهم انهم مسئولون " انهم يسألون سؤال توبيخ وتقرير وتقريع، لايجاب الحجة عليهم لاسؤال استفهام، لانه تعالى _____ (1) سورة الانعام آية 24 - 25 (2) سورة المرسلات 35 - 36 (3) سورة النحل آية 111 (4) سورة الصافات آية 24 (5) سورة الرحمن آية